الثورة
www.althawranews.net
الثلاثاء 20 ربيع الأول 1435هـ 21 يناير 2013م العدد 17960
Tuesday : 20 Rabea Awel 1435 - 21 January - Jssue No. 17960

حقاً إنها حياة رائعة

جلال الأحمدي

بعد التجربة القاسية التي مر بها العالم في خضم أحداث الحرب العالمية الثانية والتي امتدت ما بين (1937 - 1945م) وقبلها وفي وقت ليس بالبعيد الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918م) دون أن نهمل ذكر أن الحرب الأخيرة تعد أيضا إحدى نتائج الحرب العالمية الأولى ويعتبرها الكثيرون امتدادا لها ولكن هذه المرة بشكل أكثر شمولا وبشاعة.

أثناء هاتين الحربين الشرستين وما خلفتاه من دمار جر وباله على العالم أجمع كان هناك حدث آخر من الأهمية بمكان وهو ما سمي بالكساد الكبير أو الانهيار الكبير (Great Depression) وكان خلال الفترة ما بين (1929 - 1933م). هذه الظواهر الثلاث التي تعد منحنى أساسيا غيرت مجرى الكثير من الأحداث التي ارتبطت بالتاريخ أو الجغرافيا والتي لا يزال أثرها واضحا على العالم وعلى المجتمعات حتى الآن.. الغريب في الأمر أنه خلال الفترة الواقعة ما بين عام 1921م (والتي تمثل الفترة الأخيرة من السينما الصامتة) ـ خروجا من الحرب العالمية الأولى ومرورا بالكساد الكبير ثم بعد ذلك الحرب العالمية الثانية والانتهاء منها ـ وحتى بداية الستينيات تعتبر في مقياس النقّاد هي الفترة الذهبية لهوليوود. وخلال هذه الفترة كان للمسارح ودور السينما الدور الأقوى في التأثير على أفكار الناس وزعزعة آراء المجتمع.. في تلك الأثناء وإبان نهاية الحرب الثانية كان لا يزال العالم يعيش نوعا من القهر أو اليأس ويفكر بذهنية مشوشة ولا تزال حكايات الحرب التي كانت تذاع على الراديو أو يتناقلها الناس والصور التي شاهدوها بأم أعينهم أو وصفت لهم أو رأوها عبر المنشورات ما زالت كل تلك الأشياء تعج بمخيلة الناس وتتحكم في كثير من تصرفاتهم وردات أفعالهم وتبرر خوفهم وترقبهم لأحداث العالم.

وفي عام 1947م بالتحديد- أي بعد عامين من إعلان نهاية الحرب العالمية الثانية- جاءت صرخة المخرج الصقلي الأصل الأمريكي الجنسية فرانك كابرا (Its A Wonderful Life) وعلى طريقته وكأنها محاولة لبعث الأمل في نفوس الناس والدعوة للتصالح مع العالم مرة أخرى ... «إنها حياة رائعة» عندما بدأت في كتابة هذا المقال حول هذا الفيلم كنت واثقا تماما أن أي عنوان سأختاره لهذا المقال لن يكون شأنه مثل هذا العنوان والذي قرر المخرج فرانك كابرا أن يختاره اسما لرائعته الشهيرة (Its A Wonderful Life).. فرانك كابرا هذا الرجل صاحب الحضور القوي من خلال أفلامه السابقة التي قدمها وتركت أثرا واضحا في سجل حياته الحافل بالإنجازات والدليل على ذلك أنه رشح قبل هذا الفيلم لخمس جوائز أوسكار ونال 3 منها، إذن وبثقة كبيرة سيكون لهذا الفيلم شأن عظيم، خصوصا أنه الفيلم الأول الذي يعود ويخرجه بعد انقطاع عن السينما دام 6 سنوات خلال الحرب الثانية، وتصديقا للأمر يرشح هذا الفيلم إلى خمس جوائز أوسكار لكنه لا ينال أي واحدة منها.. هذا الفيلم الذي يعد الآن ضمن قائمة أفضل 100 فيلم ضمن كلاسيكيات السينما حسب تقييم المعهد الأميركي للسينما، ويجيء في المرتبة الـ29 ضمن أفضل 250 فيلما في العالم، حسب تصنيف موقع (IMDB) الموقع الأشهر في عالم السينما. يلعب بطولة الفيلم الرائع جيمس ستيورات الحائز على جائزة أوسكار على دوره في فيلم (The Philadelphia Story) عام 1940م ليعود بعد ذلك بست سنوات في دور (جورج بايلي) مؤكدا مرة أخرى على حنكة فرانك كابرا المهنية في اختياره لهذا الممثل.. إذ يصبح بعدها أهم دور قام به جيمس ستيورات في حياته الفنية مطلقا.. أما دور البطلة (ماري) وهي زوجة الشخصية (جورج بايلي) فقد قامت به الممثلة دونا ريد صاحبة الملامح الجميلة والتي لم تكن معروفة جدا حين ذاك رغم تألقها في دورين بطوليين قبل هذا الفيلم.. لكنها كانت قادرة بالفعل وقد لعبت الدور بطريقة مقنعة تماما وبقي الدور الأفضل في حياتها كماتؤكد ذلك بنفسها.. بالإضافة إلى الممثل الموهوب ليونيل باريمور والذي هو الآخر حاصل على الأوسكار عن دوره في فيلم (A Free Soul) سنة 1931م، هذا الرجل متعدد المواهب فهو ممثل تلفزيوني ومسرحي ومؤلف ومخرج وملحن. ويعد دوره في هذا الفيلم الرجل الخسيس (هنري) الدور الذي اشتهر به في عالم السينما. قصة الفيلم مبنية على قصة قصيرة بالأساس (أعظم هدية ـ تأليف فيليب ستيرن) وقام الكاتب العبقري فرانسيس غوودريتش بكتابة السيناريو للفيلم وشارك في ذلك المخرج فرانك كابرا. فرانسيس غوودريتش وهو صاحب الأوسكار عن روايته في فيلم (Another Thin Man) لعام 1936م، والذي يصادف أن جيمس ستيورات هو من قام بدور بطولته كذلك. بوجود هذا الفريق المذهل في أي فيلم كان.. لا بد بأن العمل سيكون موازيا لهكذا أسماء كبيرة لها حضورها ومكانتها في عالم السينما وأذهان الناس. منذ بداية الفيلم سوف تشعر بذلك النوع من التقدير أو الاحترام لهذا العمل وسوف يتولد لديك الإحساس بأنك سوف تكون شاهدا على أحداث تحفة فنية راقية سيظل صداها في النفس.. كل هذا سيتولد لديك من خلال ذلك الحوار الذي يدور في الدقائق الأولى.. تدور أحداث القصة حول (جورج بايلي) الرجل النبيل وصاحب المبادئ والقيم التي ورثها عن والده.. حيث يعود بنا الفيلم في قسمه الأول إلى حكاية هذا الرجل وكيف قادته المجريات والمتغيرات حتى اللحظة التي شكلت فاصلة في حياته... هذا الرجل الذكي والطيب الذي يخذله الحظ في مواقف عدة ويكلفه القدر فوق طاقته.. فمنذ صغره يفقد القدرة على السمع في إحدى أذنيه ويكافح ويعمل ليجمع المال حتى يدخل الجامعة ويتخرج ويحقّق حلمه في زيارة بلدان العالم.. لكن دائما للزمن قول آخر ومع هذا هو لا يخسر إرادته ويستمر بالمحاولة وتقديم أفضل ما يمكن للناس ولنفسه رافضا الفرص التي تمنح إليه والتي ستجعله صاحب ثروة أو منصب عن طريق استغلال أهل بلدته أو التخلي عن مبادئه التي يؤمن بها كليا ويحارب لأجلها حتى وإن كانت الخسارة تلوح له بكلتا يديها.. ومن الطريف والمحزن في نفس الوقت أن في كل مشهد مهم ورئيسي في حياة هذا الرجل تحدث كارثة أو مصيبة مما يزيد الأمر سوءا وبالمقابل تكبر رغبته في الخروج من هذه البلدة وترك كل هذه الحياة الكئيبة خلف ظهره.. لكن بعد وفاة والده تصبح الأمور عسيرة وصعبة وينتقل كامل الحمل على كاهله في إدارة البنك الذي كان والده مسؤولا عنه.. ومع وجود منافس ذي نفوذ ومال وجشع لا حدود له يحاول بشتى الوسائل السيطرة على هذه البلدة ليقع أهلها تحت سيطرته ورحمته.. تزداد مهمته تعقيدا حتى يصل به الحال إلى فقدان إيمانه ورغبته بالانتحار.. الفيلم بشكل عام يرتكز على المحاورات الكلامية، خصوصا في النصف الأول من الفيلم إذ يكثر الحوار والسرد فيه، وقد يشعر هذا الأمر بعض من يشاهده بالملل لكن ما إن يبدأ النصف الثاني منه حتى تختفي هذه الحالة بظهور حل فنتازي ليصبح الفيلم مزيجا من الواقعية والخيال بعد ذلك. ويبدأ الترقب والانتظار والتساؤل حول الأزمة التي يمر بها البطل والتعاطف مع وضعه البائس المجهول مصيره.. الفيلم أيضا يتحدث عن العلاقة الأسرية التي تربط بين أفرادها والعلاقة مع المجتمع الصغير الذي يعرف أبناؤه بعضهم جيدا وهم على أهبة الاستعداد لتقديم يد المساعدة في حالات النكبات وكذلك مشاركة الفرح في أوقات الفرح، هذه القيم السامية التي كان يتمتع بها المجتمع الأمريكي في ذلك الوقت قبل أن تفسده الرأسمالية وتقضي على معالمه الإنسانية النبيلة والتي تكاد تكون غير موجودة الآن ليس في المجتمع الأمريكي وحسب بل وحتى في مجتمعاتنا العربية التي بدأت تفقد هذا الجانب من هويتها.. ومع وجود الأصدقاء الذين يحبونه والزوجة التي تقف إلى جانبه دائما وتتفهم وضعه الحرج إلا أن المتاعب تتوالى على هذا المسكين ويفقد كل هذه الأشياء تقريبا.. بالإضافة لذلك تهديد آخر جديد بدخول السجن.. الفيلم مجملا تحفة رائعة قدمها فريق يحترم عقلية المشاهد ويقدر جمهوره.. إلا أنّ المؤسف في الأمر أن هذه الرائعة عند عرضها في دور السينما لم تحقّق العائدات المرجوة، ولم تكن النتائج كما هي متوقعه ومأمولة ..لأسباب تتعلق بقوانين جديدة للسينما في هوليوود حين ذاك ..لكن الأشياء الجميلة هي التي تبقى وهي التي يخلدها الزمن ودون ذلك ينسى.. وقد عاد الفيلم في نهاية الستينيات وحتى أواخر السبعينيات وحقق نجاحا مبهرا حتى أنه أصبح لسنوات طويلة الفيلم الأول في ليلة رأس السنة.. ورغم أن الفيلم يعرض أحداث الحياة المحزنة وتقلباتها وظروفها ومنعطفاتها الصعبة إلا أن هناك دائما متسعا للتفاؤل والبقاء على أمل.. وسنجد أنفسنا في نهاية الفيلم نقول ونكرر ما قاله فرانك كابرا على الملأ «حقا .. إنهـا حياة رائعة».

هذه هوليود... فمن الرئيس؟

2-1

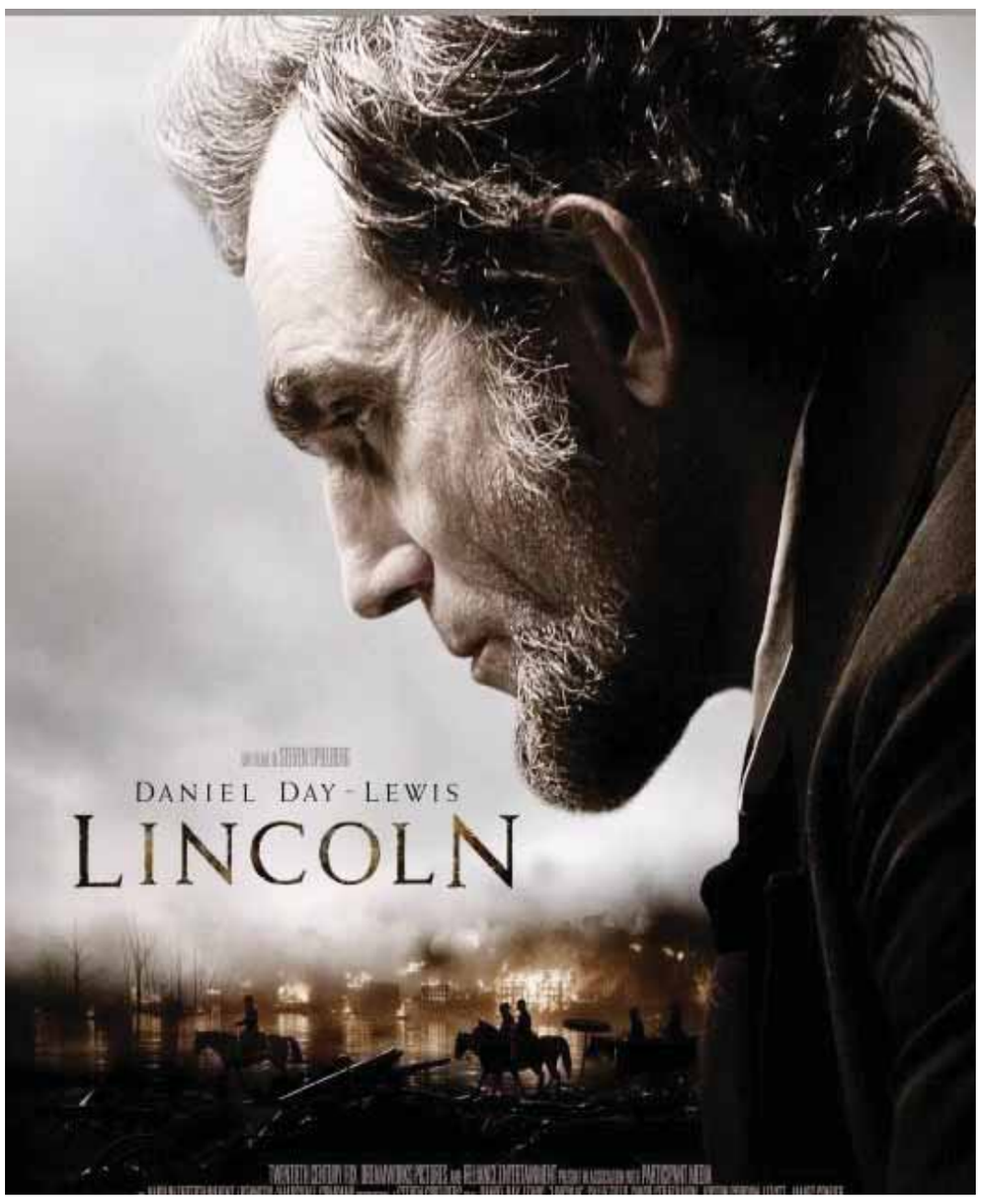

محمد الوشلي

الرجل الجائع، يستمر في البحث عن السلطة بشرهٍ غريب، ربما عمل في مكان ما في سن الخامسة والعشرين، تعرّف على امرأة من الأعلى، إنّها ابنةٌ رجل قديم يمتلك نصف نيويورك، إنّها زوجته الآن وهو الرئيس، ربما لن يخطر على البال إبراهام لينكلون مثلاً، من المسؤول عن ذلك، إنّها هوليود.

كم عدد المرات التي سقطت فيها هوليود وهي تحاول صناعة الرئيس في أفلامها..؟ سجلٌ قديم يرتجل الفشل مراراً وتكراراً، دائماً يقدّم الحقائق الأساسية في قالب عبثي ومثير للشفقة، يتقن اللهاث وراء بعدين لا ثالث لهما، القدّيس الّذي تشيخ صلواته لأجل السلام وابتسامة طفل ما في أحراش أفريقيا لأجل نيرفانا الحلم الأمريكي، والشيطان الملّوث بالنفوذ والذي سيسقط بعد أن يقوم مايكل جوردن بعمل دانك سلام أخيرة لأجل البقاء.

هذا الأمر قد يتعلق باسترضاء توقعات الجمهور المولع بالأساطير، كما حدث مثلا في Young Mr. Lincoln - من إنتاج 1939وإخراج جون فورد- الذي فشل فيه هنري فوندا في استكشاف زوايا واسعة وذات إدهاش كبير من شخصية الرئيس لينكولن.

الأكثر خطورة، ذلك الجفاف العاطفي الكبير الملازم لشخصية الرئيس، إنه أقرب لعقلية سايبورغ محنّط كما نجد في الثقافة اليابانية المعاصرة، من يشاهد رالف بيلامي في Sunrise at Campobello (من إنتاج 1960وإخراج فينست دونيهو) يعرف كيف كان كرتونيا بالنسبة لفرانكلين روزفلت الذي كان يجاهد للخلاص من الشلل، رأينا رالف يكافح لأجل الوقوف أخيراً، كان جامداً وكأن الجمهور لا يعلم أن روزفلت ظل عاما كاملاً يحاول تحريك أصبع قدمه الكبير.

ليس من الغريب أن هوليود وجدت شخصية الرئيس بهذه الصعوبة، من المستحيل حتّى استيعابها، إنهم مجموعة غامضة ومريبة - أقصد الرؤساء - كما تعتقد هوليود، دعونا نتساءل قليلاً.. من هو جورج واشنطن فعلاً؟ على مدار عقود ليست بالقليلة حاولت الكنيسة الهوليودية الحصول على توصيف كاف لهذا الرجل وعبر مئات المواد السينمائية المختلفة، وبفضل الأثر الساحر للميثولوجيا تم توصيفه بعبارات كثيرة، إنّه "الأول في الحرب..الأول في السلام..الأول في قلوب المواطنين"، أصبحت هذه التناقضات برنامجاً كلاسيكياً يتم حشوه في ذاكرة أميركا مع كل فيلم جديد حول هذا الرجل.

حتّى الآن قد يبقى الأمر مقبولاً بالنسبة للبعض، لكن أمراً هو الأصعب تقبّله لازال في الطريق، تقديم حقائق خاطئة حول هؤلاء الرؤساء، ما يجعل الأمر أكثر حيرة هو هذا الانجرار من قبل المنتجين والمخرجين والممثلين إلى دائرة الخلق الصنمي الثابت لشخصية الرئيس، نادراً ما يقتنصون الطابع الرئاسي الخاص، افتقاد كلّي لمعيار تطوير الشخصية في قلب الدراما، إن سبر أغوار الشخصية بشكل مستقل كما يحدث في شخصيات تراثية أخرى لا يقع ضمن دائرة اهتمام المخرجين ربّما، نحن نعرف أنه لكل سياسي ناجح تختلط الدوافع وتتمايز بحيث تظهر أكثر نبلاً في مواقف غير أنها تفقد أي شكلٍ من أشكال النبل في مواقف أخرى، الصورة المثالية الجامدة ليس لها وجود فعلاً، الطريق لا تكون محفوفة بأحاديث ما قبل النوم دائماً، هناك الحيل السياسية المقرفة، مقابر الظرفاء في الجانب الآخر، وأمطار الدم حول سلالم البيت الأبيض، والكثير الكثير من المحتالين الّذين يمرّون إلى قمة العاصفة في بلدان أقل من أميركا فكيف الأمر حين يتعلّق بها؟

هذا التجانس الرهيب في تقديم الرؤساء على منصة هوليود لم يكن له وجود فعلاً في واقع البيت الأبيض، كان هناك من يعانون من فقدان الأمن ونوع من القلق المستمر مثل ريتشارد نيكسون، المنفتحون بشكل عاصف كثيودور روزفلت، المبتعد والغريب الأطوار وكثيرٌ من الخجل كوودر ويلسون، كان هناك الرؤساء طوال القامة مثل واشنطن والقصار القامة مثل ماديسون، حسناً.. أتعرفون؟ لا عجب فهوليود تعاني من مشكلة حقيقية مع كل هذه الحقائق، مشكلة حقيقية في من هو الرئيس حقاً.

يحكي أحد الصحفيين بنيويورك تايمز قصة قد تبدو غريبة، إنها ليست غريبة لمن لم يعرفوا هوليود وحماقاتها المتكررة، عندما رُشح الرئيس ريتشارد نيكسون لرئاسة ثانية ممثلاً للحزب الجمهوري في عام 1972 كان حينها هذا الصحفي متواجداً في ميامي، نيكسون كان هناك يعطي كلمته الأخيرة بقبول المنصب، الجميع يصافح الرئيس، يقول هذا الرجل "كان الأمر غريباً، لقد كنت ديمقراطيا يقترب أكثر من مصافحة الرئيس الجمهوري القادم، نظر إليّ وقال كلمتين، لكنّه فوجئ بي وأنا أمنحه تهنئة مرفقة بإشارة بسيطة إلى كوني ديمقراطي، لقد تجمّد نيكسون، ربّما اعتقد أنّي أكرهه، ربّما قال لنفسه ماذا يفعل هذا الديمقراطي هنا؟ لم أستطع يوماً أن أنسى تلك الملامح المرتبكة"، وأنا أقول أن هذه الملامح لا نحصل عليها حينما يتعلّق الأمر بالرئيس الهوليودي، إنّه دائما واثقٌ تماماً ولا يحمل أيّة ملامح.

السؤال الآن متى بدأت هذه العلاقة الغرامية الرتيبة بين المؤسسة الرئاسية وأبواق هوليود المتعطشة للأبطال، مع الحرب الأمريكية الإسبانية كان الأمر غريباً حينما احتاج الشعب الأمريكي للحقيقة، لقد سُحق الأمريكيون لكن معركة مانيلا غيّرت كل شيء، غرقت إسبانيا وغرقت الأمة الأمريكية في دوّامة الصحف والمسارح، كان يمكن فقط أن تتجول في الشوارع الأمريكية في ذلك الوقت لتجد أطناناً من البشر تتحرّك باتجاه دور العرض بعد ظهيرة كئيبة، هذه الأخيرة تبدأ بعرض شريطها الإخباري مصحوبا بمعزوفة "Stars and Stripes" وهتافات الجمهور الأمريكي السعيد بسقوط أوغاد الإمبراطورية الإسبانية بالرغم من غرق نيوجرسي في بركة من دماء الأولاد الّذين تم حصادهم، هذا لا يهم فتوماس أديسون وصنّاع السينما الأوائل يمنحون الأمة الأمريكية ما تريد، وليس ما يحدث فعلاً.

البطل الكبير في هذه الحرب لم يكن غير رجل أرسلته السماء كما كان يعتقد بعض الإنجيليين الحمقى، إنّه فقّط ثيودور روزفلت، العقيد الأسطوري الذي قاد الفرسان القساة للاحتفال في صدر خوان خيل - في الواقع كيتل هيل ولكن ما الفرق الآن؟ تم تزوير الكثير من الصور التي كادت ترسل بعض المصورين إلى الجحيم، لا يهم فقد منحت الأمريكيين ما يريدون... النصر!! وحصلت دور العرض على ما تريد... المزيد من الزبائن!!

الحقيقة أن أرباب السينما والرئاسة كانوا متباعدين تماماً، في وقت لاحق حدث الانفجار الكبير، أصبحت مهمة الرئيس الآن أن يصبح ممثلاً، ربّما استوعب البيت الأبيض أهمية الصورة المرئية، ومع روزفلت لم يعد هناك مناص من صنع الرئيس، يقول ديفيد ماكولو حول زيارة قناة بنما من قبل روزفلت "كان يتم تصويره حتى في ساعة الاستيقاظ ـ"كان عليه فعل ذلك، يقول ماكولو "كانت الفرصة الأعظم للالتقاط أهم الصور الرئاسية في يوم ما"، ومع نهاية القرن كان هناك رونالد ريجان، الممثل العظيم، بالنسبة لأميركا صار هذا أمراً لا مفر منه.

إمـضـاء

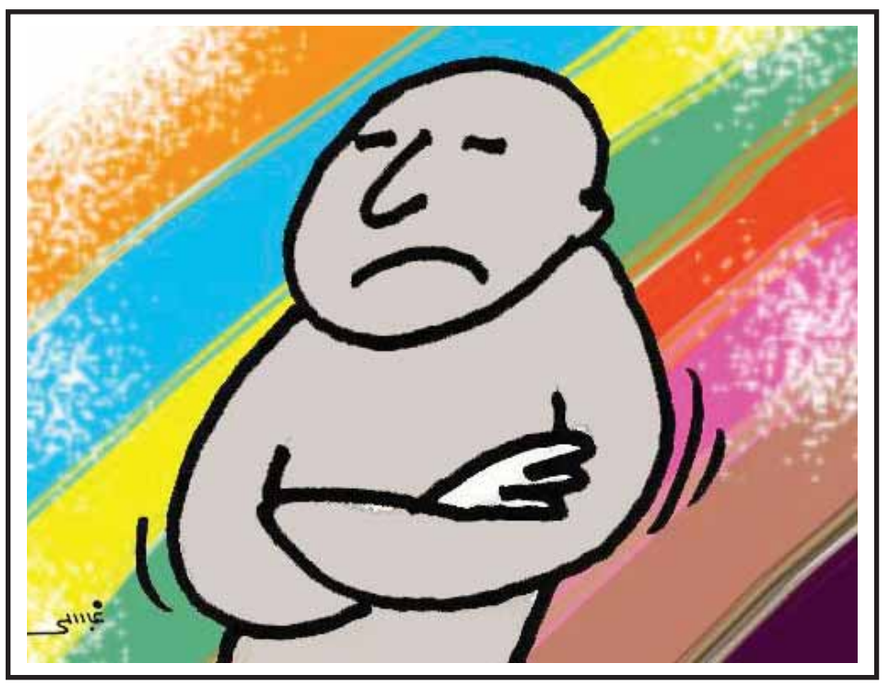

ظـــلال

آمنة النصيري

- من مواليد مدينة رداع - اليمن
- دكتوراه في فلسفة الفن. موسكو ٢٠٠١م
- ١٦ معرضاً شخصياً في ألمانيا واليمن وهولندا وروسيا.
- لديها ثلاثة مؤلفات في الفن.